

# القيم الإسلامية في الموشحات الأندلسية

د. يوسف شحدة الكحلوت

رئيس قسم اللغة العربية

بالجامعة الإسلامية - غزة

## المقدمة :

كنت قد بحثت في أطروحة الدكتوراه "الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي - عصر ملوك الطوائف"، متخذاً السباحة ضد التيار منهجاً لي، فقد اشتهر هذا العصر بالفساد وتردي القيم والأخلاق لما ساد فيه من تفكك سياسي واجتماعي، فأردت من خلال بحثي السابق أن أثبت أن الخير لا يُعدم في هذه الأمة، وهو ما توصل إليه البحث، فقد وجدت أشعاراً كثيرة تتحدث عن الأخلاق الإسلامية في مختلف مضامينها وأشكالها، ولم أتطرق حينها للأخلاق الإسلامية في الموشحات الأندلسية لأن هذا الفن لم يزدهر ازدهاراً ملحوظاً إلا بعد القرن الخامس الهجري؛ لذلك أردت أن أعّد هذا البحث لأكمل ما طرّقه في رسالة الدكتوراه حباً في السباحة ضد التيار - لكون الموشحات أيضاً إذا ما ذكرت يتبادر للسامع الرقص والطرب والغناء، فأردت أن أثبت أيضاً أن هذا الفن لا يخلو من قيم إسلامية ومن مضامين دينية لها دورها في تربية النفس وتهذيب الأخلاق، لذا كان هذا البحث بعنوان "القيم الإسلامية في الموشحات الأندلسية" وقد وجدت والحمد لله الكثير من القيم منثورة في العديد من الموشحات لوشاحين مختلفين في عصور متعددة، وهو ما سأفصّله - إن شاء الله - في ثنايا هذا البحث.

## العزوف عن الحياة الدنيا

مرحلة لا يبلغها إلا من امتلأت نفسه إيماناً متوقداً، وبقيناً ثابتاً، وإدراكاً لمعاني الآخرة، مما يوجب تغييراً سلوكياً يتجه بالفرد نحو الآخرة طمعاً في

الجنة وخوفاً من النار، فيتضاعف الاهتمام بلذائذ الدنيا لأنها تتعارض مع حقيقة الآخرة التي تحتاج إلى مجاهدة الإنسان نفسه في ضبط سلوكه. ولما كانت الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر مصداقاً لقوله تعالى: "وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" (١) - فإن البصيرة الثاقبة والعقل الواعي يدركان الخسارة الكبيرة التي يجنيها الإنسان إذا أقبل على الدنيا وأبصر عن الآخرة، وهو ما ندركه من قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون" (٢) ويحثنا الرسول الكريم ﷺ على ترك الدنيا والزهد فيها فيقول: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور" (٣) كما يرشدنا إلى السلوك الصحيح الذي يفضي إلى السلامة منها والفوز بالآخرة حين يقول: "ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم" (٤)

وقد أدرك الوشاح الششتري هذه المعاني فزهد في الدنيا وهجر ملذاتها، ودعا إلى تركها وعدم الركون إليها معاتباً نفسه على الإغراق فيها والتمسك بها رغم ما يلاقيه من الحزن والأين والبين فيقول (٥):-

كم نهاك السرور	والحزن
كم براك الزمان	والأين
كم سباك الدنو	والبين

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٤

(٢) سورة المنافقون: آية ٩

(٣) سنن الترمذي: "أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي" تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج ٤، ص ٥٦٧، حديث رقم ٢٣٢٢، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل.

(٤) السابق: ج ٤، ص ٥٦١، حديث رقم ٢٣٢٢، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل

(٥) ديوان الموشحات الأندلسية، تحقيق: سيد غازي (الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩) ج ٢، ص ٣٥١ - ٣٥٢

كم تخطبت في دجى عُمرِ

فيه زيد سما على عمرو

يقف الوشاح أمام نفسه فيخاطبها مكاشفاً ومسائلاً، وزاجراً وواعظاً، ومذكراً بما تلاقيه في الدنيا من عذاب وحزن وألم، مما يدفعها إلى تركها وعدم الركون إليها، وقد استطاع الوشاح من خلال استخدامه الخطاب المباشر أن يجعله خطاباً شمولياً لا يقتصر تأثيره على الوشاح نفسه، وإنما يشمل كل متلقٍ للموشحة.

وقد اعتمد الوشاح على التصوير الذي يبرز قسوة الدنيا من خلال ما يتعرض له الإنسان فيها من معاناة "براك الزمان، سباك الدنو" كما أكثر من الأفعال التي جاءت في الزمن الماضي المتصل بكاف الخطاب ومسبوقةً ببنيّة التريد "كم" الخبرية التي تغيد الكثرة، فالوشاح لا يريد لنفسه ولغيره أن يركن إلى الدنيا وإن شعر بالراحة فيها قليلاً، فكثرة ما أحدثته في الماضي القريب هو مدعاة للحرص منها والابتعاد عنها، ثم نجده يتوقف فجأة في السمط الرابع عن تعداد ما تحدثه الدنيا مستخدماً فعل الأمر "انتبه" زجراً للمخاطب وتنبهاً له، وكأنّ تعداده السابق أثار في نفسه الخوف من نسيان الماضي والانزلاق مرة أخرى في وحل الدنيا، ثم نجد الوشاح يعود في القفل إلى استخدام "كم" العددية مقترنة بالفعل الماضي المتصل ببناء الفاعل هذه المرة "تخطبت" في دلالة إلى أن ما يتعرض له الإنسان في الدنيا هو من صنعه، وباختياره وليس مفروضاً عليه كما نفهم من الأفعال السابقة، وقد استخدم الشاعر القافية المكسورة في الأفعال؛ ليوائم ما تحدثه الدنيا من انكسار وهزيمة لمن يغتر بها ويركن إليها.

وفي موشحة أخرى نجد الوشاح يؤكد على زوال الدنيا ونعيمها فلا يدوم فيها سرور ولا مقام، ورغم ذلك يُخدع الإنسان بها؛ لذلك يقدم النصيح له

بالمبادرة بالإحسان وفعل الخيرات، وأن يكون نزيهاً حتى ينال المقام العالي في  
الآخرة فقال<sup>(١)</sup>:-

زخرف الدنيا غرور  
وغداً عنه المسير  
ليس ينفع السرور  
من غدا فيها مرفع تب إلى مولاك وارجع  
ليس للدنيا دوام  
لا ولا فيها مقام  
غراً أهلها غمام  
عن قريب يتقشع تب إلى مولاك وارجع  
قدم الإحسان فيها  
ولتكن فيها نزيها  
في غد تكن وجيها  
بالمسير منها اقنع تب إلى مولاك وارجع

ما يُلحظ في هذا الجزء من الموشحة أن الوشاح استخدم الأسلوب  
الخبري في حديثه عن الدنيا لأنه يتحدث عن حقائق يغفل عنها المخاطب ولا  
ينكرها، والحقائق لا تحتاج إلى إثبات أو تأكيد أو إقناع<sup>(٢)</sup>، وفي أثناء حديثه عن  
الدنيا نجده يوجه الخطاب إلى الإنسان مستخدماً أسلوب الالتفات من خلال فعلي  
الأمر "تب" و "ارجع" وهو السلوك الذي يجب أن يقوم به من يدرك الحقائق  
السابقة عن الدنيا، من توبة إلى الله ورجوع عن اقتراف الآثام التي تزينها الدنيا  
للإنسان وتغري به لاقترافها.

(١) ديوان الموشحات الأندلسية "مستترك" يتضمن نصوصاً تنشر لأول مرة، محمد زكريا  
عناني ط٢ (دار الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، - ١٩٨٦) ص ١٥٠، ١٥١.

(٢) انظر، علم المعاني: عبد العزيز عتيق (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥) ص ٥٥ .

وقد استخدم الوشاح التكرار بشكل لافت في الغصن الثاني من كل قفل، فتكرار جملة "تب إلى مولاك وارجع"، كان بمثابة لازمة تتردد بقيمة دينية لها وقعها في النفس تذكر بالعودة إلى الله والتوبة من الذنب، وإذا كان التكرار هو "جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما"<sup>(١)</sup> فإن تكرار الوشاح لهذه الجملة بالإضافة إلى وضعها بشكل متوازٍ على طول الموشحة في الغصن الثاني "منح الدلالة حضوراً وحيوية تستلزم انحباس القارئ في دائرة الاستمتاع بترديد أجزائها والتحليق في فضاء الاسترخاء النظمي"<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل الوشاح قافية الموشحة مقيدة سواء الأسماط أو الأغصان، فقافية الأسماط جاءت مقيدة وهو يلائم حال الدنيا التي تُعدُّ "سجن المؤمن وجنة الكافر"<sup>(٣)</sup>، كما جاءت قافية الأقفال حرف عين مقيدة، والعين من الأصوات التي تلائم النصيح والإرشاد وجاء مقيداً؛ ليوائم طلب الشاعر الذي يريد لمخاطبه التوقف عن فعل أي شيء يخالف ما يطلبه في الأقفال.

### الدعاء والتضرع والمناجاة

الإنسان ضعيف بخلقته "وخلق الإنسان ضعيفاً"<sup>(٤)</sup>، وهذا الضعف يجعله مرتبطاً بقوة عظمى تقوي ضعفه وتمده قوة، ولا يتأتى ذلك إلا من الله عز وجل "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين"<sup>(٥)</sup>، و "أن القوة لله جميعاً"<sup>(٦)</sup>؛ لذلك يلجأ

---

(١) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، ط٧ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣) ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر: عبد الخالق محمد العف ط١ (غزة، مطبوعات وزارة الثقافة، ٢٠٠٠) ص ٢٧٣.

(٣) صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت) م ٩، ص ٣١٩، حديث رقم ٢٩٥٦، كتاب الزهد والرفائق.

(٤) سورة النساء، آية ٢٨

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٨

(٦) سورة البقرة، آية ١٦٥

الإنسان إلى ربه دعاءً وتضرعاً ومناجاةً، وقد منح الله لهذا العبد المجال واسعاً ليلجأ إليه ويدعوه ويتضرع إليه حين أخبر نبيه ﷺ بقوله عز وجل "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" (١)، وأمرنا سبحانه أن ندعوه "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية" (٢)، كما حث النبي ﷺ على الدعاء بقوله: "الدعاء مخ العبادة" (٣)

وهو ما كان من وشاحي الأندلس، فقد لجأ فريق منهم إلى الله عز وجل داعياً ومناجياً، ومن هؤلاء ابن الصباغ الذي لجأ إلى الله ملتئماً منه العفو والمغفرة من خلال تقديم النصيح والإرشاد لنفسه ولغيره، حيث فتح المجال واسعاً للمناجاة في غلس الليل، وتمريغ الخد والنحيب، وطلب الرحمة وسلوك طريق التوحيد، فقال (٤) :-

قَم وَنَاجِ اللَّهَ فِي دَاجِي الْغَلَسِ	تَنْتَشِي الْأَرْوَاحُ
وَالْتَمَسَ لِلْعَفْوِ فِيهِ مَلْتَمَسٌ	وَانْتَبَهَ قَدْ فَاحَ
عَرَفَ أَزْهَارَ الرِّضَا ثُمَّ اقْتَبَسَ	نُورَ رَشْدٍ لَاحَ
وَانْتَشَقَّ يَا صَاحَ أَرْوَاحِ السُّحَرِ	يَا لَهَا مَشْمُومَ
عَرَفَهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهَرِ	يَنْعَشُ الْمَزْكُومَ
* * *	
مَرَّغَ الْخَدَّ وَنَادَى بِالنَّحِيبِ	وَاهْمَلَ الْأَجْفَانِ
قَفَّ بِمَغْنَاهُمْ وَقُوفَ مَسْتَرِيبِ	حَالَفَ الْأَشْجَانِ

(١) سورة البقرة، آية ١٨٦

(٢) سورة الأعراف، آية ٥٥

(٣) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٤٥٦، حديث رقم ٣٣٧١، كتاب الدعاء، باب: ١، والمستترك على الصحيحين: الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠) ج ١، ص ٦٦٧ حديث رقم ٢/١٨٠٢.

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية: ج ٢، ص ٣٩٧ - ٣٩٩.

واشك إن وافقت إصغاء الطبيب  
فعسى بالوصل يحيى ما دثر  
فالنوى ما إن عليه مصطبِر  
علة السحجران  
ويطيب النعيم  
والبعد أليم

يا رحيم الخلق رحماك فقد  
ليس للعبد على النار جَلَد  
عبدُ سوءٍ لحماك قد قصد  
مَن له يوم ترامى بالشرر  
فيهابُ الخلق من خير البشر  
عافني يا رحيم  
جئت مغنى رحيب  
وهو عبدٌ مُريب  
يشتكى بالذنوب  
زفراتُ الجحيم  
عافني يا رحيم

أنا ما بين مقامين مقيم  
في فؤادي من دموعي كلوم  
واعتلاقي بجناب الكريم  
ها أنا في الحاليتين في خطر  
سالك التوحيد فيه بالنظر  
سُبُل نهج قويم  
أورثاني شجاً  
قلماً ترتجى  
مُسعرً بالنجاً  
والفؤاد سليم

أبدع الوشاح في استخدام تقنيات اللغة لخدمة مضمونه الروحي، من خلال عبارات امتازت بانتظام لفظي رائع، وإيقاع عذب يلائمان مضمون القصيدة وجوها النفسي، أما حروفها فقد سيطر عليها حرفا السين والحاء، وهما من الحروف الرخوة المهموسة إضافة إلى ما تمتاز به الحاء من خفيف<sup>(١)</sup> مما عزز من الجو الانسيابي الهادئ الذي يلائم وقت السحر حيث الهدوء وهمسات المناجاة والتضرع، وقد جعلهما الوشاح مقيدتين ليستغرقا كل صفات الهمس التي توائم جو السحر.

(١) انظر، الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ط٤ (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،

كما جاء التصوير بتشكيلاته الرائعة متعاضداً مع المضمون أيضاً وملائماً لصفاء الروح وخلوص الوجدان ونقاء النفس عند الوشاح "عرف أزهار الرضا، نور رشد لاح، انتشق أرواح السحر..." وهي تلائم زمن الموشحة حيث السحر وما فيه من ظلمة وسكون وصفاء، وهو ما تستمد منه النفس هدوءها وصفاءها فتلجأ إلى الله ضارعة إليه ومناجبة تلتمس العفو والرضا.

وقد أكثر الوشاح من استخدام الأساليب الإنشائية من أمر ونداء وتعجب، ذلك ليوظف مكنونات اللغة التعبيرية، وليخرج من نطاق الخطاب المباشر لكون الأسلوب الإنشائي بأبعاده الوجدانية متماهياً مع جو المناجاة والتضرع إلى الله، ويثير انفعال المتلقى.

والملاحظ أيضاً أن الأسماط والأغصان الأولى من الموشحة جاءت ممتدة وكبيرة في حين جاءت الأسماط والأغصان الثانية فيها صغيرة مما أحدث تموجاً موسيقياً تلتذ به الأسماع، إضافة إلى أن بنية الأسماط والأغصان جاءت متعاضدة مع بنية المضمون بحيث جاء السمط الثاني والغصن الثاني نتيجة طبيعية للسمط الأول والغصن الأول، ومعلوم أن النتيجة عادة تكون مختصرة ومكثفة، لذا جاء صغيري البنية .

وقد استخدم الوشاح أسلوب الالتفات في الأبيات، فجاء أسلوب الخطاب في البيتين الأولين خطاباً للنفس، بحسبانها فترة تحضير وإعداد للمناجاة، وهي تستلزم حث النفس ودفعها للوقوف بين يدي الخالق، ثم يلتفت الوشاح في البيت الثالث مخاطباً رب العزة مستخدماً تقنية جديدة وهي نداء البعيد تعظيماً وإجلالاً للخالق عز وجل؛ ليبدأ مناجاته له، وسرعان ما يلتفت مرة أخرى مستخدماً أسلوب الغيبة حين يتحدث عن نفسه إنكاراً لذاته أمام ربه "ليس للعبد، وهو عبد مريب، عبد سوء، يشتكي بالذنوب، من له يوم ترامي" ثم يلتفت أخيراً في البيت الرابع متحدثاً عن نفسه مباشرة حين يطلب المعافاة من الله وهو ما يستلزم المباشرة في الخطاب.



ويتضرع ابن عربي إلى الخالق عز وجل طالباً العفو والمغفرة فيقول<sup>(١)</sup>:-

يا لطيفاً بعبدك

وكريماً برفدك

ووفياً بعهذك

أعط عبداً رزئاً

إنه ما جاء شيئاً فرياً

لقد جرد الوشاح نفسه لله عز وجل، فوقف بين يديه ضارعاً متوسلاً يطلب العفو والمغفرة، ولما كان المطلوب عظيماً، فلا بد أن يكون الأدب في طلبه جمّاً، وهو ما لجأ إليه الوشاح حيث تذلل لخالقه وألح في الشئاء عليه قبل أن يقوم بسؤاله وهذا من أدب الدعاء لله جلّ وعلا.

وقد لجأ الوشاح إلى الاستيحاء من النص القرآني في التعبير عن خلوصه من الآثام في قوله: "إنه ما جاء شيئاً فرياً" مستوحياً ذلك من قوله تعالى: "يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً"<sup>(٢)</sup>، غير أن الآية في النص القرآني جاءت مثبته ومؤكدة على لسان قوم مريم (عليها السلام) الذين رموها بالإثم، وفي الموشحة جاء منفياً، والنفي مؤكد بـ "إن"، وكأن الشاعر بنفي الإثم عن نفسه ينفيه أيضاً عن السيدة مريم التي برأها الله مما رماه به قومها.

وقد جاءت كلمات القافية في الأسماط تكرات تخص الوشاح "بعبدك، برفذ، بعهدك" مما يشي بإنكار الوشاح لذاته، وجاءت مقيدة لتلائم حال الواقف بين يدي الله متذلاً متضرعاً، كما نلاحظ أن الوشاح تحدث عن نفسه بضمير الغائب "أعط عبداً" "إنه" تحقيراً لذاته وزيادة في التذلل لله سبحانه وتعالى.

(١) ديوان الموشحات الأندلسية م ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢) سورة مريم آية ٢٧ .

ويتضرع الششتري إلى خالقه عز وجل قائلاً<sup>(١)</sup>:-

أنت رب الكون وحـدك  
والكرم والجود عنـدك  
ما تشاء افعل بعـدك  
أنا عبد، وأنت مولـى  
سيدي أهلاً وسهلاً

لقد غلبت النفحات الصوفية على المشاعر الزهدية في هذا الجزء من الموشحة، كما ظهر استسلام الوشاح الكامل لخالقه من خلال قبوله بحكم الله أيّاً ما كان "ما تشاء افعل بعبدك" ورغم هذا التسليم إلا أنه يلجأ للحصول على الرضى والقبول من ربه إلى التلميح لا التصريح في قوله: "والكرم والجود عندك" وهذا يشي بمدى تأدب الوشاح أمام ربه عز وجل، وأمله في الحصول على ما يريد من خلال تضرعه وذكره لصفات الخالق جلّ وعلا، وإظهار انتمائه العقدي حيث أبرز إيمانه بالربوبية لخالقه، وهي جزء من عقيدته.

### العظة والاعتبار

وتبرز كقيمة خلقية من خلال ما تحدثه من تغيرات في سلوك الإنسان الذي يبدو كمن تهزّه الأحداث فيصحو بعد رقاد طويل، فيبدأ بمراجعة نفسه ومحاسبتها؛ لإدراك الأخطاء، السابقة، فيسارع إلى تطهير النفس من علائقها وغسلها من أدرانها، فالاعتبار "حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى والمآل لأمر ما يشاهده الإنسان، ويتبصر فيه ويقوم باستقراءه، وموازنته ومقايسته ومحاكمته محاكمة عقلية، فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيدفعه ذلك إلى سلوك فكري واجتماعي مناسب"<sup>(٢)</sup>، وقد برزت هذه القيمة من

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٣٥٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية - وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمن النحلوي، ط ١ (دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م) ص ٢٤٤.

خلال التوجيهات القرآنية حيث أورد القرآن الكثير من القصص لأمم غابرة كي تكون موضع عبرة للأمم الحاضرة واللاحقة فيقول تعالى: "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" (١) ويقول عز وجل: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل" (٢).

وقد نبهت وشاحي الأندلس الكثير من الأحداث، فوقفوا أمام أنفسهم ليكون حالهم ويحثون الخط نحو التوبة إلى الله، وكان لظهور الشيب وزوال الشباب وموت الصحب والأحباب، والمرور بالديار الدائرة، الأثر البالغ في نفوسهم، فحولها إلى نفوس شغافة متألمة وباكية، ومن هؤلاء ابن الصباغ الذي أدبرت عنه الدنيا، وأقبلت عليه الشيخوخة، فبدأ يحاسب نفسه ويثوب إلى ربه، فقد ذبل عوده وولى شبابه، وقرب اليوم الموعود، واستحال الدوام فقال (٣):-

أزهار شيب المفارق	تفتحت عنها الكمّام
فابك الزمان المفارق	وحاك في النوح الحمام
	* * *
عوضت بالصبح الأصيل	قد عرا البدر انكشاف
ألم بالغصن الذبول	وكان لثنا ذا انعطاف
ريح الصبا منها يميل	كأن سقى صرف السلاف
حتى رمى القلب راشق	وفوقت نحوى السهام
ولسان الحال ناطق	يخبرني أن لا دوام

لقد استعان الوشاح بعناصر الطبيعة؛ ليعبر عن فكرة الزوال التي يسبقها ذبول وشيخوخة ومشيب، وقد كان لظهور الشيب في رأسه أثره في

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٦ .

(٢) سورة الروم : آية ٤٢ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٣٨٨ - ٣٩٠، أزهار الرياض في أخبار

القاضي عياض، المقرئ: "أحمد بن محمد التلمساني" تحقيق الإياري وآخرين ج ٢

(القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩ ) ص ٢٣٢ .

تغيير نظرتة للأشياء، فقد صار ينظر إليها من زاوية أخرى تعكس حاله حيث انطفاء جذوة الشباب في نفسه، فصار يسمع هديل الحمام نوحاً ويرى البدر منكسفاً، والغض ذابلاً، وهى مشاهد وصور استمدها الوشاح من طبيعة الأندلس.

وقد ساعدت الموسيقى المنبعثة من الألفاظ والعبارات في تغذية الشعور بالحزن والألم على ذهاب الشباب، كما أن اكتناز هذا الجزء من الموشحة بكم كبير من الأفعال في أزمنة مختلفة، أبرز درامية الموقف الذي يعيشه الوشاح، وكان الحضور الكبير للفعل الماضي "تفتحت، عوضت، عرا، ألم، كان سقى، رمى، فوقت" يشي بسيطرة فكرة الزوال على الوشاح.

وقد تحدث ابن زُمرْكَ عن الشيب وزوال الشباب، الذي أوقف الاغترار بالدنيا وألجأ إلى الله فقال<sup>(١)</sup>:-

يا حسرتا مرَّ الصبَا وانقضى	وأقبل الشيب يقص الأثر
واخجلتا والرحل قد قوضا	وما في الخبر غير الخبر
وليتني لو كنت فيما مضى	أدخر الزاد لطول السفر
قد حان من ركب التصابي إياب	ورائد الرشدا أطال المغيب
يا أكمه القلب بعين الحجاب	كم ذا أناديك فلا تستجيب

إننا إذ نحس أنين الوشاح وهو يتدارك حقيقة إقبال الشباب وإقبال الشيب وكان عنفوان الشباب قد صرفه عنها، ندرك أن ما يُبكي الوشاح ويشجيه لا يكمن في إدراكه للحقيقة، وإنما في غفلته عنها، وعدم استغلاله لفترات الصبا والشباب الطويلة، وعدم التزود والإعداد لفترة المشيب وإدبار العمر ودنو الأجل.

وقد استقصى الوشاح من الأساليب والألفاظ ما يمكنه من إفراغ هذا الحزن وهذا الألم حتى أننا نكاد نسمع صوت بكائه من ثنايا العبارات "يا

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٥٤٨

حسرتا، مر الصبا، أقبل الشيب، واخجلتا، ليتي، لو كنت" مما يشي بانكسار  
الوشاح وعجزه عن فعل شيء، إلا أن الوشاح يلتفت فجأة من حديث النفس  
المباشر إلى انتزاع شخص آخر من نفسه يتحدث إليه مرة بطريقة الغيبة، ومرة  
أخرى بطريقة الخطاب المباشر، وهي تحولات تبرز درامية الموقف الذي  
يتعرض له الوشاح والاضطراب الذي أحدثه ظهور الشيب في نفسه، وقد  
استطاع الوشاح أن يصل بتعبيره إلى أقصى أمزج من التوتر والتأثير فكما "ينبغي  
لنبرته في أدائه الدرامي أن تتوفر على قدر من التموج والتباين، لا بد لها من  
أن تعلو وتهبط، تشف وتتكدر، تتسع وتضمر، تصغي إلى أنين الروح تارة،  
وتنفجر بالصراخ الدرامي تارة أخرى"<sup>(١)</sup> وهذا التحول جاء يحمل معنى  
الصحو والبدء بالعمل الجاد الحازم الذي يبرز من خلال التوكيد "بعد" في بداية  
الغصن الأول من القفل "قد حان" بعد طول غياب وهو عمل يستوجب غسل  
النفس من أدران الماضي، وتطهيرها من عللق الصبا والشباب.

وقد جاءت كلمة القافية في الأسماط الأولى من الدور أفعالاً ماضية  
مترادفة في المعنى، وتشوي بزوال الشباب وانقضاء العمر "انقضى، قوضا،  
مضى"، وقد جاءت قافية أغلب الأسماط وكذا الأغصان في هذا البيت مقيدة،  
وهو ما يوائم حال الوشاح الذي انكفأ على نفسه حزينا باكياً.

ويقف ابن الصباغ على أطلال قومه الذين أفناهم الدهر يتساعل عن  
مصيرهم، فأنارهم الناطقة تخبره بأن لا دوام لأحد وكل شيء - خلا الله - إلى  
زوال، فيقول<sup>(٢)</sup>:-

أَيُّنَ الْبَيْضِ وَالْأَرَامُ  
وَجِيرَتَتَا الْكَرَامُ

(١) البنية الدرامية في القصيدة الحديثة: على جعفر العلاق (فصول، ع ١٤ - ٢، م ٧، ١٩٨٦م)

ص ٣٩ .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية (المستترك) ص ١٣٢ .

## نأت بهم الأيـام

فأحزان قلبي العاني لم ألف لهم معاني

وتبقى فكرة الزوال والفناء مسيطرة على البشر، ومن ضمنهم  
الوشاحون الذين يمرون في حلهم وترحالهم على مضارب أقوام فنوا وبقيت  
آثارهم تذكر بأيامهم التي كانت عامرة تنبض بالحياة، وتزخر بالأحداث؛ لذلك  
يجعلهم ابن الصباغ محور موشحته حين يدعو لأخذ العظة والعبرة منهم حيث  
لم يتبق منهم إلا رسوم بالية وبقايا قطآن دائرة، فيقول<sup>(١)</sup>:-

رسوم ظاهر البلى      بكل رسم طاسم \* عنوان  
وربعهم ما أشكلا      منها لكل حازم \* تبيان

• • •

قف بالديار واعتبر      إن كنت من أهل العبر  
وانظر لها وازدجر      فإن فيها الأجر  
كم معلم قد دثر      فلم يبين منه أثر  
تبكيه ورق الفلا      وفي بكاء الحمائم \* أشجان  
فلننتدب للطلا      ففي فؤاد الهائم \* أحزان

• • •

فناء أهل الطريق      هو الوجود المطلق  
فكل معنى دقيق      بوصفهم يُحقَّق  
أنوارهم في شريق      بها استضاء الموفَّق  
قد أوضحوا السُّبُلَا      فهم لنا في العالم \* برهان  
فاجنح إليهم ولا      تغفل فللمواسم \* إيـان

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٣٩١، ٣٩٢.

فقد استطاع ابن الصباغ من خلال هندسة الموشحة أن يسخر بناءها  
لخدمة المضمون، فالأقفال جاءت ثلاثية المقطع، بحيث يأتي الجزء الثالث من  
الغصن جواباً لما سبق، ومكتنزاً لدفقة الشعور الوعظية، ويظهر ذلك من خلال  
(عنوان، تبيان، أشجان، أحزان، برهان، إبان) ثم إن التموج الإيقاعي في  
الأقفال تماهى مع المضمون أيضاً.

بحقهم يا دارُ

أحبائي أين ساروا

فنادتني الآثارُ

توالي البلى أقواني وما قد ترى عُواني

أفناهم مرور الدهر

إن كنت مجيد الفكرِ

فانظر مآل الأمر

إننا نكاد نحس بالشعور الغريب الذي ينتاب الوشاح وهو يقف على آثار  
قومه التي جسدها في صورة إنسان يناديه ويخبره عما أحدثه الدهر من بلى  
وزوال وفناء لأحبابه، وقد أراد الوشاح لهذه الصورة أن تبقى ماثلة في مخيلته  
وفكره كي يأخذ العبرة والعظة منها.

كما أن التحولات التي حدثت على الأرض من زوال للبشر والحجر  
والحيوان أحدثت إرباكاً واضطراباً في نفس الوشاح، فألقى ذلك بظلاله على  
عباراته التي جاءت حزينة حائرة، وكذلك أساليبه حيث طغى أسلوب الانتفات  
الذي أحدث العديد من التحولات الدرامية، وقد استطاع الوشاح أن يوظف هذا  
الموقف وأن يخرج منه بعبرة تؤدي به إلى السلوك المرغوب، الذي يتوافق  
وفكرة الزوال في الدنيا والتي يتبعها بعث وحساب وجنة ونار.

## التوبة

التوبة ثمرة من ثمار النفس اللوامة التي لا تتفك تعاتب صاحبها على تقصيره في جنب الله، وترجره كي يعود إلى جادة الصواب، فيسارع إلى إعلان التوبة وإظهار الندم، ويتخذ سلوكه منحىً إيجابياً نحو العبادة التي تسمو بها روحه وتشتد عزيمته ويقوى إيمانه، ومن ثم تتراجع سطوة النفس الأمارة بالسوء التي تشده نحو الدنيا وتميل به نحو الشهوات، وقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية على إظهار التوبة وإعلان الندم في الكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة منها قوله تعالى: "وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" (١) وقد رغب الرسول ﷺ في الإسراع بإعلان التوبة في قوله ﷺ: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" (٢)، وقوله ﷺ: "والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" (٣)

وقد توجه الكثير من وشاحي الأندلس إلى إعلان التوبة والندم على ما ضاع من العمر بين اللهو والترف، ومن هؤلاء ابن زمرك الذي يوبخ نفسه على كثرة العبث واللهو، ويقرر العودة بعد أن حان موعد الإياب فيقول (٤):  
يا نفس كم ذا التصاب      فيا له من مصاب      ولّى زمان الشباب  
آن أوان الإياب      لوذي بتيك القباب      حنّي إليها الركاب

---

(١) سورة التحريم: آية ٨

(٢) صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١١٣، حديث رقم ٢٧٥٩، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٣) صحيح البخاري: "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري" مراجعة وضبط وفهرسة "الشيخ محمد على القطب، والشيخ هشام البخاري، ط ٢ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٧) ج ٤، ص ١٩٨٤، حديث رقم ٦٣٠٧ كتاب الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة.

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية (المستترك): ص ١٣٠، ١٣١



فبالصفاء والخطيم

وفى محل الوجيه

ولقد نوع الوشاح في الأفعال، فاستخدم الماضي والأمر وانتهى بالمضارع الذي يشي باستمرارية فتح باب التوبة والعفو من الله لمن لجأ إليه واستغفره، فشد الرحال إلى الأماكن المقدسة ، والتقل بينها يطهر النفس من أدران الماضي ويجعلها "تحظى بما نشتيه".

ويواصل الوشاح لوم نفسه في موشحة أخرى، ويحثها على التوبة وهجر الذنوب فقد نبل الشباب مؤذناً بالأقول ودنو الأجل، ولا سبيل للاستعداد لهذه اللحظة غير تكفير الذنب وزيارة المقدسات<sup>(١)</sup>:-

فمذ بان ريعان الشباب

وَأَن أَوَانَ الْإِيَابِ

## فارحل إلى تلك القباب

فِيَالِهْ مِنْ مَنْظَرِ وَمَخْرِ

(١) السابق، ص ١٦٣ .

ويرى ابن الصباغ أن الذنب يعوقه عن أداء المناسك ويمنعه من زيارة الأماكن المقدسة فيقول<sup>(١)</sup>:-

إن عاقني ذنبي	عن ذلك المغنى	فليس لي حول
كيف بالقرب	للهاثم المضنى	وبيننا سُبُل
تذيب بالكرب	جسماً نوى حزناً	وشفه الخبْل
إليكم وجَّه	وجهاً غدا حائر	والدمع في الخد
ينهل كالسُّحب	وزفرة خاطر	تلهب بالوقد

لقد بات الشوق إلى الأماكن المقدسة يعصف بالوشاح الذي نوى جسمه وخارت قواه فحال ذلك بينه وبين الوصول إليها، كما أن تراكم الذنوب تقل من همته وزاد في عجزه فما عاد له حول ولا قوة على الذهاب إلى تلك الأماكن، وقد جاءت موسيقى هذه الموشحة جذابة رقيقة تتميز بخفة الوزن "مستعلن فعْلن"؛ لتلائم الجو النفسي الذي يسيطر على الوشاح؛ فنفسه شفافة تسعى للوصول إلى رضا الخالق في أكثر الأماكن قدسية حيث الكعبة المشرفة وقبر الرسول ﷺ، كما انتقى الوشاح أرق العبارات والألفاظ التي تلائم حال المعذب الذي يسعى للخلاص من الذنوب "للهاثم المضنى، تذيب بالكرب، جسماً نوى حزناً، شفه الخبل، وجهاً غدا حائر، الدمع في الخد، زفرة خاطر، تلهب بالوقد" ومن هنا يتضح أن "النص علاقة بخارجه فوحداته الدلالية في سياقها الثقافي لا يمكن عزلها عن التفاعلات المتعددة في أبعادها المختلفة"<sup>(٢)</sup>

وقد اختار الوشاح لإفراغ عواطفه وانفعالاته موشحة ثلاثية السمط تلائم حال المنهك القوى، ويستطيع من خلالها أن يبعثر أفكاره ويتوقف بعد كل سمط ليلتقط أنفاسه الحزينة الباكية.

إن من يدرك نهايات الأشياء، وتبدل أحوالها لا بد أن يدرك أنه لا محالة إلى زوال، لذا لا بد من الإعداد للحياة الأخرى حيث الوقوف أمام الله،

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ص ٤١٢، أزهار الرياض: ج ٢، ص ٢٤٣.

(٢) القول الشعري: رجاء عيد (مصر، دار المعارف، ١٩٩٠) ص ٢١

فالتوبة والرجوع عن الآثام السبيل الوحيد للفوز والنجاة، وهذا ما عبر عنه ابن زمرك قائلاً<sup>(١)</sup>:-

والله ما الكون بما قد حوى	إلا ظلال توهم الغافلا
وعادة الظل إذا ما استوى	تبصره منتقلاً زائلاً
إننا إلى الله عبيد الهوى	لم نعرف الحق ولا الباطلا
فكل من يرجو سوى الله خاب	وإنما الفوز لعبد منيب
يستقبل الرجعى بصدق المتاب	ويرقب الله الشهيد الرقيب

يريد الوشاح أن يوجه لمخاطبيه دعوة، ولكي تقبل دعوتَه قدم لها بمقدمات منطقية تقوم على المشاهدة والحس، ورغم ذلك فإنه يبدأ بالقسم على ما يقول ليبرز ويؤكد قناعاته قبل أن يقتنع بها المخاطب، ثم يلجأ إلى تصوير الكون كله بما حوى بالظلال، ثم يتحول إلى إبراز حقيقة علمية وهي زوال الظل عند استواء الشمس في كبد السماء، وينتقل الوشاح بعد ذكر هذه الحقائق إلى الحديث لمخاطبيه، ولكن مستخدماً أسلوب التكلم الجمعي "إننا إلى الله..." ليشمل بالنصح نفسه وكل إنسان غافل، كما يحدث هذا الخطاب نوعاً من الحميمية والقرب بينه وبين المخاطبين، فهو لا يدعي لنفسه الكمال، وإنما يسعى لذلك معهم.

### طلب الشفاعة

الشفاعة مفتاح دخول الجنة وقضية عقدية وحقيقة إيمانية تتركها النفوس الواثقة التي تعتقد بالبعث والحساب والجنة والنار، وإدراك شفاعة النبي ﷺ، هو غاية الغايات بالنسبة لكل مؤمن، ولما كان الحصول عليها لا يتم إلا بطاعته ﷺ، والتي تعد طاعة الله عز وجل - حيث يقول ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" . قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : "من أطاعني دخل الجنة ومن

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٥٤٨

عصاني فقد أبى<sup>(١)</sup> - فإنها تجعل الإنسان المؤمن أكثر انضباطاً والتزاماً بأخلاق الإسلام وقيمه، وقد وعد الله سبحانه وتعالى رسوله بالشفاعة ويظهر ذلك في قوله عز وجل: "ولسوف يعطيك ربك فترضى"<sup>(٢)</sup> قيل المقصود الشفاعة<sup>(٣)</sup>، وقوله سبحانه وتعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً"<sup>(٤)</sup> قيل أيضاً أن المقام المحمود هو الشفاعة<sup>(٥)</sup>.

وقد ألح وشاحو الأندلس في طلب الشفاعة وتوسلوا في ذلك أملاً في الحصول على القبول عند الله والفوز بالجنة والنجاة من النار، ومن هؤلاء ابن زمرك الذي مدح النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه، كما أظهر حبه وتعلقه بالنبي ﷺ واشتياقه لزيارته فقال<sup>(٦)</sup>:-

هل يُحمل الزاد لدار الكريم	والمصطفى الهادي شفيع مطاع
فجاهه زخر الفقير العديم	وحبه زادي ونعم المتاع
والله سماء الرعوف الرحيم	فجاره المكفول ما إن يُضاع
عسى شفيع الناس يوم الحساب	وملجأ الخلق لرفع الكروب
يلحقني منه قبول مجاب	يشفع لي في موبقات الذنوب

إن من أراد الحصول على أمر عظيم لا بد أن يقدم له بمقدمات كي يكون جديراً به، وما يتمناه الوشاح ويريد الوصول إليه هو غاية الغايات بالنسبة لكل مسلم، ألا وهو شفاعة النبي ﷺ، لذلك قدم لطلبه هذا بمقدمة جمعت بين المدح والثناء على النبي ﷺ وبين تحقيره لذاته "الفقير العديم" وقد لجأ في مدحه

(١) صحيح البخاري: ج ٤، ص ٢٢٧٢، حديث رقم ٧٢٧٢، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ "بعثت بجوامع الكلم".

(٢) سورة الضحى: آية ٥.

(٣) انظر، مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد على الصابوني: م ٢، ط ٧ (القاهرة، دار الصابوني، د.ت) ص ٣٩٢.

(٤) سورة الإسراء: آية ٧٩.

(٥) انظر، مختصر تفسير ابن كثير: م ٣، ص ٦٥٠.

(٦) ديوان الموشحات الأندلسية: ج ٢، ص ٥٤٨ - ٥٤٩.

إلى الاستيحاء من القرآن الكريم، حيث يقول : "والله سماه الرعوف الرحيم"  
استوحاها من قوله تعالى: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم  
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"<sup>(١)</sup> وقد جاء هذا الاستيحاء ليعزز طلب  
الشفاعة وإعطائه صفة القداسة.

ويقدم ابن الصباغ دعوة إلى مدح النبي ﷺ عسى أن يلقي المدعو القبول  
عند النبي ﷺ ويكون من أهل الصفا فيقول<sup>(٢)</sup>:-

إن كنت من أهل الصفا

دع عنك أوصاف الجفا

وذكر رسمٍ قد عفا

وهيم بمدح المصطفى

الهاشمي المرتضى تاج العلا شمس الهدى

لا تبغ منه عـوضاً

• • •

وشيم ربوعاً للحبيب

وانزل بمغنائه الرحيب

ولذ بمرعاه الخصيب

فهو لما تشكو الطبيب

ناد به معرضاً هل تقبلون مكمدا

قد كان عنكم أعرضاً

لقد أدرك الوشاح قيمة المدح النبوي في صفاء النفس وشفافية الروح،  
لذلك يقدم دعوة لمدح النبي ﷺ مستخدماً أسلوب الشرط؛ ليستثير مخاطبيه  
لفعل ذلك "إن كنت من أهل الصفا" فهو ينتخب لخطابه الفئة الصافية ليلقي إليها

(١) سورة التوبة: ١٢٨

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية م ٢، ص ٤٠٦

مجموعة من المطالب مستخدماً كمّاً كبيراً من أفعال الأمر الطلبية "دع، اذكر، هم، شيم، انزل، لذ، ناد" وكذا النهي "لا تبغ" وكلها أفعال تستلزم القيام بأعمال ينال بها المخاطب الرضا والقبول من الرسول ﷺ.

وشاح آخر يستفيض في مدح الرسول طالباً شفاعته قائلاً<sup>(١)</sup>:-

بأحمد المجتبي الرسول	بسيد العالمين أجمع
في موقف المحشر المهول	ومن هو الشافع المشفع
للغير والناس في ذهول	إذ لا كلام هناك يسمع
والشهب منشورة النظام	إذ السماء لها انفطار
سريعة المر كالغمام	كذا الجبال انتثت كعهن

• • •

وإن تأخرت فني الزمن	يا أول الرسل في الفضيلة
فمن يضاها علاك من	شفاعة نلت مع وسيلة
وطبت في السر والعلن	علت بك الرتبة الجليلة
فمن يضاهايك في المقام	فأنت من خيرهم خيار
وأنت بدر لهم تمام	والرسل نالت بك التمني

لقد اعتمد الشاح على الاقتباس من آيات القرآن الكريم في عرضه لمشاهد يوم القيامة ففي قوله "إذ لا كلام هناك يسمع للغير" اقتبس من قوله تعالى: "يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد"<sup>(٢)</sup>، وقوله "إذ السماء لها انفطار" اقتبس من قوله تعالى: "إذا السماء انفطرت"<sup>(٣)</sup>، وقوله "كذا الجبال انتثت كعهن" اقتبس من قوله تعالى: "وتكون الجبال كالعهن"<sup>(٤)</sup> وقوله: "سريعة

(١) ديوان الموشحات الأندلسية م ٢، ص ٦٧٠ .

(٢) سورة هود آية ١٠٥ .

(٣) سورة الانفطار آية ١ .

(٤) سورة المعارج آية ٩ .

المر كالغمام"، اقتبس من قوله تعالى: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب"<sup>(١)</sup>.

إن هذا الحشد الكبير لمشاهد يوم القيامة يبرز مدى خوف الوشاح وإدراكه للموقف العظيم يوم يحشر الناس جميعاً وقد أصابهم الذهول والخوف، ومن هنا يتضح سبب لجوئه وطلبه للشفاعة من النبي ﷺ وتقربه إلى الله به. ويتوسل الششتري بالرسول الكريم إلى الله ليغفر عنه أوزاره ويغفر له ما اكتسب من آثام فيقول<sup>(٢)</sup>:-

بِالْهَاشِمِيِّ الْمَخْتَارِ	الْهَادِي الرَّسُولِ
أَرْجُو قَضَا الْأَوْطَارِ	وَنِيْلَ الْقَبُولِ
وَالْعَفْوِ عَنِ الْأَوْزَارِ	فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ
فَفِي هَذِهِ الْأُمْدَاحِ	نَشْرُ الْمَسْكِ فَاحِ

لقد جاء هذا البيت من الموشحة باللغة الدارجة البسيطة وبايقاع عذب رقيق يضمن لها الذبوع والانتشار بين الخاصة والعامة، وهو ما رمى إليه الوشاح، فالمضمون وجداني فيه طلب للعفو والمغفرة ونيل القبول، وقد تقرب فيه إلى الله بالنبي ﷺ ومتشفعاً به وهو ما أراد تعميمه، فحين تنتشر هذه الموشحة على الألسنة تسمو الأرواح إيماناً و يقيناً وقرباً إلى الله عز وجل، وهو ما ندرکه من المضمون الذي حواه القفل حيث يقول:-

فَفِي هَذِهِ الْأُمْدَاحِ	نَشْرُ الْمَسْكِ فَاحِ
---------------------------	------------------------

وقد جاءت قافية الأسماط الأولى مكسورة، وقافية الأسماط الثانية ساكنة مقيدة مما أحدث تموجاً موسيقياً يستدعى علواً وانخفاضاً وتغيراً في نبرة الصوت، لذلك فإن هذه الأدوار من الموشحة يحتاج لأكثر من صوت لإنشادها، وهو ما أراده الوشاح بالفعل لهذه الموشحة بالإضافة إلى سهولة العبارات والألفاظ وقرب اللغة إلى الأذهان.

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية ، م ٢، ص ٣٣٦ .

## الشجاعة والكرم

الشجاعة والكرم صفتان أخلاقيتان متلازمتان في النفس ، فكل خصلة لا يمكن أن تتوافر في شخص إلا إذا توافرت الأخرى، فلا يهَمُّ بالكرم من يتصف بالجبن، ولا يضحى بالنفس من يتصف بالبخل، فالتضحية بالنفس من أعلى درجات الكرم، وبذل المال بحاجة إلى شجاعة، وهما صفتان تحملان قيمة عالية، لذلك نجد الشعراء والوشاحين في الشعر العربي عادة ما كانوا يجمعون بين هاتين الصفتين في شعر المدح، ومن ذلك مدح جرير لعبد الملك بن مروان، حين قال (١).

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ  
وَقَدْ جَمَعَ الْخَطَابُ الْقِرَانِي بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ حِينَ قَالَ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى حَاتِئًا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ "انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا  
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٢)  
وَتَغْنَى وَشَاحُوا الْأَنْدَلُسَ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَوَفَّرَتَا فِي مَمْدُوحِيهِمْ وَمِنْهُمْ ابْنُ  
مَالِكٍ أَحْمَدٌ حَيْثُ يَقُولُ (٣):

بِمَعَالِي أَبِي عَلِيٍّ أَهْرَمَ  
رَقٌّ طَبْعاً كَالْمَاءِ أَوْ كَالنَّسِيمِ  
نَوْجِيَيْنَ طَلَقَ وَوَجْهَهُ بِسِيمِ  
وَيَمِينِ تَتَهَلَّلُ بِالنَّبِيرِ  
وَسَيْفِ هَامِ الْعَدَا تَبْرِي

(١) ديوان جرير (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩١) ص ٧٧ .

(٢) سورة التوبة: آية ٤١ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٣٩ .



لقد هام الوشاح بممدوحه أبي علي وقد ذكر أسباب هذا الهيام واصفاً  
ممدوحه بمجموعة من الصفات تؤهله لمثل هذا الحب، فهو "رقيق الطبع ذو  
وجه طلق، وكريم وشجاع" وقد أكثر الوشاح من استعمال الجمل الاسمية في  
وصفه لممدوحه مما يشي بثبات هذه الصفات الخلقية وأصالتها فيه، إلا أنه حين  
بدأ ذكر صفاته بدأها بالجملة الفعلية "رق طبعاً كالماء أو كالنسيم" مما أعطى  
القيم الخلقية التي يتصف بها الممدوح المصادقية السلوكية، فالفعل يمثل  
الجانب العملي للنظرية الأخلاقية التي تأصلت في الممدوح.

ونلاحظ استخدامه للجناس الناقص، مرتين، وفي كل مرة كان يورده  
بين الاسم والفعل بين "النسيم، وبسيم" وبين "التبر وتبري" فجاء الفعل الذي  
يمثل الجانب السلوكي بعد الاسم الذي يمثل القيمة الخلقية، مما يشي بأن هناك  
تكاملاً وتصديقاً بين القيمة والفعل السلوكي، أي بين القاعدة الأخلاقية وترجمتها  
في الواقع العملي.

ويتغنى ابن اللبانة بشجاعة وكرم ممدوحه الذي بارى الرياح في كرمه،  
فهو ليث يقود جيشاً جراراً في حومة الأبطال، فيقول<sup>(١)</sup>:-

لا غَرَوْ أن باري \* في الجود والإفضال هوج الرياح  
واقْتَاد جرارا \* بجيشه إذ قال قف لا بَـرَاح  
ليثٌ إذا سارا \* في حومة الأبطال يوم الكفاح  
لم يُغنِ ضرب الجيد \* ما حاكه داوود من الزرد

لقد اجتمعت في الممدوح صفة الجود والكرم إلى جانب الشجاعة  
والقيادة، ولما كان مجال صفة الجود والكرم مجالاً اجتماعياً، حيث سخاء  
العطاء المصاحب لرضى النفس وهدأتها، فإننا نجد الوشاح قد جعلها موضع  
صراع بينه وبين هوج الرياح، وهي صورة تبرز حب الممدوح للعطاء، في  
حين برزت صفة الشجاعة والبطولة في الوعى في باقي الأسماط الستة مع

(١) السابق، م، ص ٢١٥.

القفل، وقد نتصور أن الوشاح أراد بذلك أن يُغلب صفة الشجاعة على ممدوحه، ولكن إذا وقفنا قليلاً عند وصفه للممدوح نجد أن الصورة الأولى وهي صفة الجود قد اكتملت، وأي إضافات أخرى ستكون حشواً لا طائلاً منه، إلا أنه عندما أراد أن يسبغ عليه صفة الشجاعة نجد الصورة لا تكتمل إلا بذكرها بهذا الشكل المفصل.

وقد استلهم الوشاح صورة سيدنا داود في صنعه للدروع في قوله "ما حاكه داود من الزرد" استلهمها من قوله تعالى: "وعلمناه صنعة لبوس لكم لُحْصِيْنَكُم من بأسكم"<sup>(١)</sup> وأراد بذلك أن ما يلبسه الأعداء من الزرد والدروع لم يمنعه من ضربهم بسيفه والإجهاز عليهم.

وقد عبر ابن بقي عن كرم وشجاعة ممدوحه الذي اشتهر بابتهاجه بقدم الضيوف وضربه رقاب الأعداء بسيفه فيقول<sup>(٢)</sup>: -

بسام للضيوف

ضراب بالسيف

بالحاجب يا نبات الحبق الببدروج

والجنا في المروج

لقد لجأ الشاعر إلى إظهار صفتي الشجاعة والكرم في أجمل صورها حيث كنى عن صفة الكرم بقوله "بسام للضيوف" وهي تشي بحب الممدوح للضيوف وارتياحه لوجودهم وهذا بدوره يعكس ارتياحاً واطمئناناً على الضيوف.

كما كنى عن صفة الشجاعة بقوله "ضراب بالسيف" وهي تشي بشجاعته في المعارك التي تستلزم الإكثار في قطف هام العدا.

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٨٠ .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية : م ١، ص ٤٧٣، ٤٧٤ .

ونلاحظ أن الوشاح استخدم صيغة المبالغة "بسام" و "ضراب" في وصفه لمدوحه ، مما يشي بكثرة وقوع الفعل منه على اختلافه، كما أعطاه صفة الديمومة والاستمرار.

وفي موشحة أخرى نجد ابن سهل الأندلسي يكثف من استخدام الصور المجازية التي أبرزت عنده صفتي الشجاعة والكرم في أبهى خللها، فصوره للغرقى منقذاً وللجرحى طبيباً، وفي صورة مركبة يُشبهه الوشاح فيها شكره للممدوح بالنبات المورق، في حين شبه عطايا الممدوح بالماء الذي سقى هذا الشكر فأورق، كما شخص المجد في صورة إنسان له معصم، وشخص الشتاء في صورة طائر توانت خطاه، وكأن الوشاح أراد بتكثيفه للصور المجازية أن يمنح الصفات الأخلاقية التي يتصف بها الممدوح مظهراً جمالياً يجعل منها مثلاً يُحتذى. فقال<sup>(١)</sup>:-

يا مشرفاً يرجى كما يتقى	يا منقذ الغرقى وآسي الجراح
أحلت من قلبك حب البقا	منزلة المال بأيدي الشحاح
والشكر أضحى حسنه مورقا	كما سقاه منك ماء السماح
كم معصم للمجد قد عطلا	فصغت من حمدك فيه سوار
وكم ثنا قد توانت خطاه	كسوته ريش الأيادي فطار

### الحلم والصفح

قيمتان خلقيتان ساميتان ترفعان الإنسان عن توافه الأمور، وتسموان به ليصبح حكيماً ثابت الجنان، متزن العقل والعاطفة لا تلعب به الأهواء، يستدعي حكمته في كل الأمور، فيحلم حين تضيق صدور الناس، ويصفح حين يمتلك القدرة على الصفح، ويجد العذر لمن يخطئ في حقه، كما أن "هناك ارتباطاً وثيقاً مؤكداً بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين، وتجاوزه عن خطئهم؛

(١) السابق: م٢، ص ٢١٤.

فالرجل العظيم حقاً كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا عدا عليه غرّ يريد تجريحه، نظر إليه من قمته كما ينظر الفيلسوف إلى صبيان يعبثون في الطريق وقد يرمونه بالأحجار<sup>(١)</sup> فيمتلك بهذه الصفات قلوب من حوله، ويكسب حبهم وودهم، وتبرز قيمة هاتين الصفتين وأثرهما في حياة الفرد والجماعة من خلال التوجيهات القرآنية حيث يقول سبحانه وتعالى: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"<sup>(٢)</sup> ويقول الرسول ﷺ: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء"<sup>(٣)</sup>.

وقد تغنى وشاحو الأندلس بهاتين الصفتين في ممدوحيهـم، ومنهم التطيلي، حيث قال<sup>(٤)</sup>:-

يا أيها السَّريُّ	من أشرف القضاة
قد خصك العليُّ	بالحلم والأناة
قلم يُمِتْ عليُّ	وأنت في الحياة
فجذك الكميُّ	مُقَايِلُ العُدَاةِ
يُنَمَى إلى سُلالة	قد ورثوا عن الجدود * شرف المفخر
	هم الدَّارِي في السُّعود * بل هم أفخر

لقد برزت صفة الحلم والأناة كأهم صفة يتميز بها الممدوح حيث خصه الله بها ، فنال بها الشرف على أمثاله من القضاة، وقد كان اتصافه بها يشعر

(١) خلق المسلم: محمد الغزالي ط٢ (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م) ص ١٠٦ .

(٢) آل عمران: آية ١٣٤ .

(٣) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد (د. ق، دار إحياء السنة النبوية، د.ت) ج ٢ ص ٢٤٨، حديث رقم ٤٧٧٧، كتاب الآداب، باب من كظم غيظاً.

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية: م ١، ص ٢٨٠، ٢٨١ .

بحلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فالناس تشعر بالفقد الحقيقي حين تغيب القيم مع غياب حاملها، أما إذا وجد في الحياة من يحمل مثل هذه القيم، فإن الموت يغيب الجسد فقط، وتبقى القيمة حاضرة باستمرار ممارستها؛ لذلك كان لاستحضار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أثره في إبراز القيمة وإعطائها هذا البعد الإيماني العميق.

كما أصل الوشاح لصفات ممدوحه من خلال إعطائها البعد الوراثي حين تحدث عن شرف جدوده، وصفاء سلالته .

لقد جاءت أغصان الدور في البيت السابق مكتتزة بالحروف المشددة، والحرف المشدد عبارة عن صوتين أولهما ساكن والآخر متحرك، وكأن الشاعر أراد بالحرف الساكن أن يعطي صفة الثبات للقيمة، وبالمتحرك صفة الفاعلية.

وجمع الوشاح بين الشجاعة والحلم والصفح عند ممدوحه؛ ليرز أصالة هاتين الصفتين (الحلم والصفح) فيقول<sup>(١)</sup>:-

خطط الوزيرُ	بخطِّةٍ إيثارُ
فانتَهى السرورُ	إلى غير مقدارِ
ردت الأُمُورُ	إلى أسدِ ضارِ
ثابت الجنانِ	صفوح عن الجاني
قد حمى عرينه	بالزُّرقِ المسنونِ

لقد أراد الوشاح أن يبرز صفة الصفع عند الوزير متعاضدة مع صفة الشجاعة، فهو أسد ضار على الأعداء، صفوح عن الجناة، وهما صفتان لا تلغي إحداهما الأخرى ولا يتعارض بعضهما مع بعض، فالصفح لا يكون عن ضعف أو جبن، وإنما عن شجاعة وإقتدار، وحلم وثبات جنان.

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ١، ص ٢٦٨ .

## الإيمان بالقضاء والقدر

مسألة عقيدة وركن من أركان الإيمان، لا يستقيم إيمان امرئ دون أن يكون على يقين وإيمان كامل بهما، كما أن التسليم بهما يكشف "عن مدى وعي المؤمن بدينه في ضوء سنن الحياة التي نعيشها... فمتى ترسخ في وجدانه أن جميع حركات الحياة المرتبطة بسننها إنما تقع وفق علم الله سبحانه وتقديره، وتوافق مع هذا الإيمان سلوكه الذي لا يترك سبباً إلا أخذ به، كانت هذه العقيدة دافعاً إلى حياة إيمانية راقية على مستوى الفرد والجماعة"<sup>(١)</sup> وبذلك يعد هذا الإيمان "المحرك الأصيل للنفس البشرية وهو الدافع الحقيقي للعمل في ميدان الحياة"<sup>(٢)</sup> وقد أورد القرآن الكريم ما يؤكد هذه العقيدة في قوله تعالى: "إنا كل شيء خلقناه بقدر"<sup>(٣)</sup> وقوله عز وجل: "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"<sup>(٤)</sup> وفي الحديث القدسي يقول سبحانه: "من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس رباً غيري"<sup>(٥)</sup> ويوجه الرسول ﷺ إلى الإيمان بالقضاء والقدر قائلاً: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"<sup>(٦)</sup>.

وقد عبر وشاحو الأندلس عن إيمانهم بالقضاء والقدر معلنين تسليمهم وانقيادهم لما قدره الله عز وجل، ومن هؤلاء ابن الصباغ الذي ابتعدت عنه الديار المقدسة، وأقعدته العجز عن الوصول إليها، فعزى ذلك إلى حكم القضاء دون اعتراض بل رضى به رضاء كاملاً وتسليماً تاماً، فيقول<sup>(٧)</sup>:

(١) في العقيدة الإسلامية والأخلاق: محمد عبد الستار نصار وآخرون، ط١ (القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨١م) ص ٩٥، ٩٦.

(٢) العقيدة وأثرها في بناء الجيل: عبد الله عزام، ط٣ (عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨٠) ص ٣٨.

(٣) سورة القمر، آية ٤٩.

(٤) سورة التوبة، آية ٥١.

(٥) جامع الأحاديث القدسية: أبو عبد الرحمن عصام الدين الطباطبائي (القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٩١م)، ج ٥، ص ٨٢، حديث رقم ٨٢٦.

(٦) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٥١، حديث رقم ٢١٤٤، كتاب القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، وقال: "حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون".

(٧) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ٤٠٧.

لقد تتاعت الديار

وشط بي عنها المزار

لو كان لي حكم اختيار

ما قرّ بي عنها قرار

ما شاءه حكم القضاء يجري ولو طال المدى

فلا تكن مُعترضاً

يسلم الوشاح بحكم القضاء رغم الألم والحزن الشديدين اللذين يشعر بهما نتيجة تباعد المسافة بينه وبين الديار المقدسة، وقد ألقى هذا الحزن بظلاله على عبارات الشاعر التي جاءت حزينة باكية متألّمة تتبعث من عاطفة إيمانية شفافة "تتاعت الديار، شط بي عنها المزار، لو كان لي حكم اختيار..." وقد ساعد مدّ الألف إلى جانب تكرار الراء المرتجفة في توليد جرس موسيقي حزين أبرز شدة شوق الوشاح وحنينه إلى الديار المقدسة، ورغم ارتفاع نبرة الحزن العالية في الأسماط الأربعة الأولى نجد الشاعر يلتفت بنبرة هادئة مسلمة راضية في القفل "ما شاءه حكم القضاء" ليعبر عن قناعته ورضاه بقضاء الله وقدره.

وقد استخدم الوشاح القافية المقيدة في الأسماط، وهو ما يلائم عجزه وعدم قدرته على الوصول إلى الأماكن المقدسة، في حين جاءت قافية الأغصان منتهية بألف الإطلاق، مما يمنح الوشاح نفساً طويلاً ممتداً؛ ليعبر عن استسلامه ورضاه بالقضاء والقدر.

ويعبر الوشاح ابن اللبانة عن رضاه بقضاء الله وقدره رغم الفقد الذي مني به نتيجة موت الملك المؤيد، فيقول<sup>(١)</sup>:-

طلّ النجيع \* وقلّ الأسرُ غربي مهند

وكان من منتضاه الدهرُ وما تقلد

صبراً على ما قضاه الله

(١) السابق: م ١، ص ٢٣٢.

خُطَّ المؤيد من علياه  
وعطل الملك من مرآه  
أقول شوقاً إلى لقياه  
آن الطلوع \* فلح يا بدر  
فالجو أريد  
وعذ بشارقة يا فجر  
فالعود أحمد

رغم عظم المصاب الذي يكتنف الوشاح على هذا الفقد، حيث إظلام الكون، وإرباد الجو، وتعطيل الملك، إلا أنه يعلن إيمانه بقضاء الله وقدره، ويستشرف آفاق الأمل لتبدد الظلام وقد ألقى الحزن والأسى بظلاله على عبارات الوشاح وألفاظه التي غطتها غمامة سوداء داكنة في المطلع والدور "طلّ النجيع، قلّ الأسر، غربي مهتد، صبراً على ما قضاه الله، خُطَّ المؤيد، عطل الملك، الجو أريد" مما يشي بالحزن الشديد الذي يشعر به الوشاح، إلا أن العبارات في القفل جاءت مشرقة بالتفاؤل "آن الطلوع، فلح يا بدر، عد بشارقة يا فجر، العود أحمد" مما يشي بأن الوشاح لم يستسلم لأحزانه لكونه يؤمن بقضاء الله فالحزن يعقبه الفرح، وهذا ما تتركه النفس المؤمنة الراضية بقضاء الله وقدره.

### الحكمة

خلق جليل وفضيلة النفس الناطقة المميزة<sup>(١)</sup>، وقول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً، وقلما يخلو أدب أي أمة من حكماء خلفوا وراءهم أقوالاً رائعة أودعوها خلاصة فلسفتهم وتجاربهم في الحياة، ونظرتهم إليها وموقفهم منها<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر، تهذيب الأخلاق: المسمى تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف: لابن مسكويه "أبى على أحمد بن محمد" (القاهرة، مطبعة محمد على صبيح، ١٩٥٩) ص ١٨، وانظر الفكر الأخلاقي العربي - الفلاسفة الأخلاقيون: ماجد فخري (بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٩) ج ٢، ص ٦٩

(٢) الأدب العربي في الأنلس: عبد العزيز عتيق (القاهرة، دار الآفاق العربية، د.ت) ص ٢٠٨



وتتجلى قيمة شعر الحكمة في توفيره أفضل السبل للممارسة السلوكية للقيمة الخلقية ونجاحها في الواقع السلوكي، وكونه نتاج تجارب واسعة في الحياة ويقوم على عناصر من العلم والفقه والخبرة، وقد حث القرآن الكريم على اتخاذ الحكمة وسيلة للدعوة، قال تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن"<sup>(١)</sup>.

وكما زخر الشعر بالحكمة، فإن الموشحات لم تخل أيضاً من هذه القيمة، فقد أودع وشاحو الأندلس خلاصة تجاربهم في موشحاتهم، ومن ضمنهم ابن زيدون الذي جعلت منه ظلمة السجن وتقلبات الحياة رجلاً حكيماً، فقال <sup>(٢)</sup>:

أخواننا للواردين مصادرُ

ولا أولُ إلا سيتلوه آخرُ

وإنِّي لإعتاب الزمان لناظرُ

فقد يستقبل الجدُّ، والجدُّ علثُ وتحمذُ عقبى الأمر مازال يشنأُ

إن إدراك ابن زيدون لزوال الأشياء واندثارها جعل منه رجلاً حكيماً يُنظر لأفكاره بكلمات مختصرة تملؤها الحكمة والمنطق، وهذا التنظير لرؤيته لم يكن عبثياً، وإنما عن تجربة وخبرة في الحياة طويلة، ورغم أن هذه الحقائق التي يوردها الوشاح من البديهيات التي يدركها الجميع، إلا أنها حين تأتي في وقت الغفلة والانغماس في ملذات الدنيا، تكون بمثابة الصدمة التي يستفيق عليها من غاب عن وعي الحقائق، وراح في غيبوبة الشهوات؛ لذلك استخدم الوشاح التنبيه بهمزة النداء في مطلع هذا البيت؛ ليحدث صحوه يتلوها ذكر الحقائق، ثم إن استخدامه للفظ "إخواننا" في حديثه لمخاطبيه أحدث نوعاً من الحميمية والقرب، وقوله "إخواننا" لا "إخواني" مع أن المتحدث واحد هو

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥

(٢) ديوان ابن زيدون: تحقيق: حنا الفاخوري ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠)

الوشاح؛ ليشمل بالنصح أكبر قدرٍ من المتلقين، ثم استخدم أسلوب الالتفات من الخطاب الجمعي لإخوانه إلى التكلم الفردي لنفسه، وهذا ما يتطلبه نوع الخطاب، فحين وجه الخطاب للآخر كان الحديث عن حقائق يريد التنبيه إليها، وحين تحول للحديث عن النفس أراد أن يبدأها بالإصلاح.

ثم إنه فتح باب الاحتمالات في أسلوب تملؤه الحكمة مستخدماً الفعل المضارع "يستقبل" مقترناً بقد؛ ليعرب عن تفاؤله في تغير الأحوال الذي هو نابع من تقلبات الزمان.

وقد جعل القافية راءً وهو صوت متكرر يلائم وضع الوشاح، حيث قالها في السجن فأراد لصوته أن يبقى أكبر قدر ممكن في ذهن المتلقي من خلال خاصيتها المتكررة، وجاءت الراء مضمومة رغم سجنه، وكان من المفترض أن تكون مقيدة، إلا أن المضمون الذي حواه القفل يكاد يفسر ذلك وهو أن الوشاح تجتاحه حالة من التفاؤل بإطلاق سراحه.

ويلجأ ابن زمرك إلى أسلوب الحكمة في توجيه النصح لنفسه ولغيره لإدراك حقيقة زوال العمر واقتراب الأجل، التي تستدعي الإعداد للقاء الله فيقول<sup>(١)</sup>:-

لو ترجع الأيام بعد الذهاب	لم تقدح الأشواق نكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب	يوقظه الدهرُ بصبح المشيب
• • •	
يا راكب العجز ألا نهضة	قد ضيق الدهرُ عليك المجال
لا تحسبن أن الصبا روضة	تنام فيها تحت فيء الظلال
فالعيش نومٌ والردى يقظة	والمرء ما بينهما كالخيال
والعمرُ قد مرَّ كمرِّ السحاب	والملقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بلمع السراب	تحسبه ماءً ولا تستريب

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ج ٢، ص ٥٤٧.

لقد حوّل الوشاح ما وصل إليه من قناعات، وما أراد أن ينصح به نفسه وغيره إلى كلمات باقية خالدة تتم عن بصيرة ناقبة وعقل راجح ونفس مؤمنة، وقد استخدم الوشاح أسلوب الموازنة العقلي ليدلل على صدق منطقته، وقد صاغ هذه الموازنات بأسلوب الحكمة ليضع الخيار أمام المتلقي، إما أن يستجيب إلى نداء العقل فيستيقظ من غفلته وينتبه إلى مآله، وإما يركن إلى عواطفه وأهوائه فيغرق في غفلته ولا يستيقظ إلا وعمره قد انتهى وأجله قد حان، وقد كثف الوشاح الصور الحسية في هذا البيت لكي يُعطي الفكرة أبعاداً جمالية إضافة إلى البعد التجريبي النابع من الخبرة، فجاءت الصور متتابعة "نام بلبل الشباب، يوقظه الدهر، بصبح المشيب، راكب العجز، ضيق الدهر، العيش نوم، الردى بقطة، المرء كالخيال، العمر مرّ كمرّ السحاب" وقد جاءت هذه الصور في معظمها عميقة نابغة من عمق التجربة الشخصية للوشاح، فالمحسوسات هي "الحقل الذي يقتنص منه الخيال عناصر الصورة ويستمد الرموز ويجسد فيها معاناة الشاعر، فيفكك عناصر الواقع ويعطيها وظائف جديدة يغور في أعماقها ويضئ جوهر وجودها، فيعيد إلى الواقع وجهه وانسجامه ويحقق بذلك اندماج الشعور واللاشعور الحقيقي واللاحقيقي: العقل والعاطفة في الصور المتماسكة برابط الرؤيا الروحية المكثفة"<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم الوشاح صورتين درجتا على السنة الشعراء قديماً وهما تصوير شعر الشباب بالليل، وشعر المشيب بالصبح، إلا أن الوشاح أعطى لهاتين الصورتين أبعاداً دلالية أخرى بحيث يكون النوم في ريعان الشباب حيث إقبال الدنيا بكل مفاتها ومباهجها والإيقاظ في فترة المشيب، وكان من المفترض أن تكون فترة الشباب في طاعة الله وعمل الصالحات حيث يقول

---

(١) الحداثة في الشعر العربي المعاصر: محمد حمود (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٦)

الرسول ﷺ عما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة "عن عمره فيما أفناه" (١) وقوله ﷺ عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله "شاب نشأ في عبادة الله" (٢) ولا يفريق الإنسان إلا عندما تدبر عنه الدنيا ويقبل عليه صبح الشيب منذرا بالزوال، عندها يبدأ بلوم النفس وصحوة الضمير والبكاء على ما فات.

### العدل

العدل ميزان تنقل فيه كفة الحق، وتخف فيه كفة الباطل، لذا فإنه يعد قيمة أخلاقية تحويها النفس الفاضلة السوية التي تعطي لكل ذي حق حقه، وتزيل الظلم بالضرب على يد الظالم، وتمنع انتهاك حقوق الآخرين المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وهذه القيمة لا تقتصر على الفرد نفسه وإنما تشمل المجتمع كله، لذا فقد ألح القرآن في طلب العدل وجعله هدف الرسالات السماوية بعد الإيمان بالله حيث يقول تعالى: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (٣). ولم يقصر القرآن الكريم العدل على المسلمين بل جعله واجبا في حق الأعداء أيضا حيث يقول تعالى: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" (٤).

ولما كان العدل من صفات النفس المؤمنة فإن القرآن يوجه لها الخطاب ويحضها على التخلق بهذه الصفة: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين" (٥)، أما رسولنا ﷺ فقد جعل

(١) مسند البزار : أبو بكر أحمد البزار، تحقيق : محفوظ عبدالرحمن زين الله، ط ١ (بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ) ج ٤ ص ٢٦٦ .

(٢) صحيح البخاري : ج ١، ص ٤٢٤، حديث رقم ١٤٢٣، كتاب الزكاة ، باب : الصدقة باليمين .

(٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

(٤) سورة المائدة آية ٨ .

(٥) سورة النساء آية ١٣٥ .

العدل عبادة تفضل غيرها من العبادات في قوله ﷺ: "عدل ساعة خير من عبادة سنة"<sup>(١)</sup>.

وقد تغنى وشاحو الأندلس بهذه القيمة ومدحوا من تخلق بها، فقد ظهرت آثارها على المجتمع، فساد الأمن والأمان، وغدت السنة الناس تكيل النشاء على من أقامها بينهم، ومن الوشاحين الذين برزت هذه القيمة في موشحاتهم ابن عباد، حيث اشتهر بمدوحه وظهر في البلدان بسبب عدله الذي شمل الورى، فقال<sup>(٢)</sup>:-

مـلـك لـقـد حـلـا

كـل حـديـث جـلـا

شـمـل الـورى عـدـلـا

إـن تـعـم لـيـال      أظـلـمـت لـأبـصـار

فـهـو بـدـر تـم      يهـتـدي بـه السـاري

لقد برز العدل كأهم صفة يتحلى بها الملك، فأصبح بها حديث الناس ومصدر سعادتهم، وقد كان أثر هذه القيمة عاما وشاملا لم يقتصر على فئة من الناس، وقد استطاع الوشاح أن يبرز هذا الأثر من خلال استخدامه للألفاظ "كل، شمل الورى" كما استخدم الوشاح التشبيه في قوله "فهو بدر تم" مما منح هذه الصفة الأخلاقية صفة جمالية.

ونلاحظ في هذا البيت كثرة ورود حرف اللام حيث ورد خمس عشرة مرة، واللام حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ومجهور أيضا<sup>(٣)</sup>، وهو ما يتفق وصفة العدل التي تستوجب من الحاكم أن يجمع بين الشدة واللين، كما تستوجب أن يكون جهورا في الحق ولا يخشى فيه لومة لائم.

(١) الدراية في تخريج أحاديث الهداية: أحمد بن علي أبو الفضل، تحقيق: السيد عبدالله

المدني (بيروت، دار المعرفة، د.ت) ج ٢، ص ١٦٧.

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية: م ١، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ص ٦٥.

ويتغنى الوشاح التلاليسي بعدل السلطان أبي حمو، الذي ارتفع ذكره  
وسما قدره لحمله هذه القيمة، فيقول<sup>(١)</sup>:-

من لم يزل يسمو	إلى المعالي كل حين
ذاك أبو حمو	المولى أمير المسلمين
طاعته غنم	نلنا بها دنيا ودين
أظهر في البلدان	من عدله المشتهر
وعنم بالإحسان	للبدو ثم الحضر

لقد جعل الوشاح صفة العدل سبباً في شهرة ممدوحه، بل إن استمرار  
سموه إلى المعالي مرتبط بمدى انتشار عدله، وقد منح الوشاح هذه الصفة  
المصدقية والأصالة حين جعلها شاملة جموع الناس فلم تقتصر على فئة من  
الناس دون فئة، بل إن الممدوح شمل إحسانه البدو قبل الحضر على غير  
المعهود، مما يشي بأن صفة العدل ثابتة ومتأصلة في نفسه، وقد اعتمد الوشاح  
في هذا البيت اللغة البسيطة والمعاني التي تتسم بالسهولة والوضوح.

### الحنين للوطن

يُعد الوطن الحزن الأول لأبنائه؛ ففي أرضه نشأوا، وفي عرصاته  
كبروا وعاشوا أجمل فترات العمر، عاشوا فيه الحياة بكل دقائقها وأحداثها  
بحلوها ومرها، فإذا ما ابتعدوا عنه بأجسادهم تبقى أرواحهم متعلقة به، ولا تنفك  
ألسنتهم في ذكره والتغني به، فالحنين إليه، "من رقة القلب وعلامات الرشد لما  
فيه من دلائل على كرم الأصل وتمام العقل"<sup>(٢)</sup>، كما أن حب الوطن من دلائل  
الإيمان وقد جعل الله الخروج من الوطن مكافئاً لقتل النفس حيث قال سبحانه  
وتعالى في كتابه العزيز "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ج ٢، ص ٥٦٠، ٥٦١.

(٢) الأدب العربي في الأندلس: عبد العزيز عتيق، ص ٢٦٩.

دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم" (١)، ورسولنا ﷺ يعبر بكلمات مأثورة عن حبه لوطنه ومسقط رأسه مكة، وهو يقف على مشارفها مغادراً إلى المدينة، فيقول: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت" (٢).

وقد عبّر وشاحو الأندلس عن حبه لديارهم وحنينهم إليها ومنهم ابن زيدون الذي عبر عن حبه لوطنه قرطبة التي ولد بها وترعرع على أرضها، ولما غيبه السجن عنها وأخذ به الشوق إليها كل مأخذ، قال (٣):

أقرطبة الغراء هل فيك مطعم؟

وهل كبد حرّي لبينك تتقع؟

وهل للباليك الحميدة مرجع؟

إذ الحسن مرأى فيك واللهم مسمع وإذ كنف الدنيا لديك موطاً

أليس عجباً أن تشطّ النوى بك

فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك

ولم يلتئم شعبي خلال شعابك

ولم يك خلقي بدؤه من ترابك ولم يكتفني من نواحيك منشأ

نهارك وضاح وليلك ضحيان

وتربك مصبوح وغصنك نشوان

وأرضك تكسى حين جوّك عريان

وريباك روح للنفوس وريحان وحسب الأمانى ظلك المتقياً

لقد هام الشواح بقرطبة الموطن فذابت نفسه شوقاً إليها، فهي أرض

المنشأ والصبأ والذكريات، ولقد أخذ به الشوق لأرضها كل مأخذ حتى غدا لا

(١) سورة النساء آية ٦٦ .

(٢) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٧٢٢، حديث رقم ٣٩٢٥، كتاب المناقب، باب في فضل مكة، وقال "حديث حسن غريب صحيح".

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٤٨٠، ٤٨١.

يتصور حياته بعيداً عنها، يتقاذفه الأنواء وتلهبه الأشواق، لذلك جاءت عباراته وألفاظه يكتنفها مسحة من الحزن والألم على فراق موطنه "هل فيك مطعم، كبد حرى، لبينك، هل للياليك مرجع، تشط النوى". ورغم بعد الوشاح عن موطنه إلا أننا نجده يتحدث إليه بلغة الخطاب المباشر، فيبدأ خطابه بنداء القريب بالهمزة "أقرطبة" مما يشي بحضورها في قلبه ووجدانه، ثم يوجه إليها سيلاً كبيراً من التساؤلات "هل فيك مطعم، هل كبد حرى، هل للياليك..." أليس عجباً...، مما يشي بقلق الوشاح وحيرته وعدم إدراكه لمآله، وقد ردد الوشاح أداة الاستفهام "هل" ثلاث مرات متتالية على طول الأسماط الثلاثة الأولى رغم أنه لا ينتظر جواباً، ولكنه يعرب عن أمله ورغبته الملحة في حصول القرب والرجوع إليها بعد طول غياب، وبعد هذا السيل من التساؤلات يلجأ الوشاح في القفل إلى ذكر الأسباب التي تجعله متعلقاً بقرطبة كل هذا التعلق، وكأن هناك من يسأله "لماذا كل هذا التعلق؟" فيجيب متحدثاً عن حسناتها وسهولة العيش فيها، ثم يعود إلى تساؤلاته السابقة، ولكن مستخدماً هذه المرة تقنية الاستفهام بالهمزة "أليس" ليعبر عن عجبه واستنكاره البعد عنها، ثم يخرج الوشاح في البيت الأخير من دائرة الاستفهام إلى دائرة الوصف مستحضراً طبيعة قرطبة، وقد كثف من المتقابلات اللفظية فجاء التطابق على الترتيب في الجانب الأول: نهارك وضاح، تربك مصبوح، أرضك تكسى وفي الجانب الآخر: ليلك ضحيان، غصنك نشوان، جوك عريان، وقد ساعدت هذه التقابلات في إبراز جمال طبيعة قرطبة.

ونلاحظ في الأبيات الثلاثة هذم أن الوشاح سار على نمط واحد من الخطاب المباشر وكأنه لا يريد لقرطبة أن تغيب عن مخيلته لحظة واحدة مما يدل على مدى كلف الوشاح وتعلقه بموطنه وحنينه إليه.



ويعبر ابن غياث عن حنينه لموطنه الذي أطل الغياب عنه دون اختياره فجافاه النوم وأرقه السهاد، فكان يقضي ليله باكياً ومنادياً على أحبائه وأهله الذين لا يجد منهم مجيباً يخفف عنه لواعج قلبه، وأنات روحه، فيقول<sup>(١)</sup>:-

طال عنكم مغيبِي      فلم تراءوا ودادي  
هكذا شأن الغريب      ينسى بطول البعادِ

• • •

لم يكن باختيارِي      لكن بحكم القضاءِ  
رحلتي عن ديارِي      فصرت في الغرياءِ  
إن سلوت نهارِي      أطلت ليلي بكاءِ  
ليس لي من مجيب      في الليل حين أنادي  
غير دمع سكب      ولا عج في ازديادِ

تلتهب عبارات الوشاح في هذا البيت حنيناً وحرقة ولوعة؛ فدموعه تكاد ترسم حروف الكلمات الباكية الحزينة، التي تشف عن رقة روحه، ورهافة إحساسه، فطول البعاد وغياب الجسد لم يُغيّب روحه التي لم تزل تحلق في سماء الوطن.

وقد جاءت الموسيقى الداخلية والخارجية متعاضدة مع المضمون الذي حواه هذا البيت فموسيقى العبارات والألفاظ تثير الشجن وتبعث على البكاء، كما جاءت قافية الأسماط والأغصان مكسورة ثلاثم انكسار نفس الوشاح وحالة البكاء والنحيب التي يحياها.

#### أداء المناسك

شرع الإسلام العبادات إتماماً للمهمة الأساسية التي بُعث بها النبي ﷺ "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"<sup>(٢)</sup>، وما من عبادة شرعها الإسلام، وما من

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢، ص ١٣٩.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ترقيم: محمد عبد السلام، ط ١ (بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٩٩٣) ج ٢، ص ٣٨١.

نسك حض عليه إلا وهدفه إقامة صرح الأخلاق، وإتمام بناء الفضائل؛ ليكون المسلم كتلة أخلاقية تدب على الأرض، فرغم تباين العبادات في مظهرها إلا أنها تلتقي عند غاية واحدة هي إتمام مكارم الأخلاق.<sup>(١)</sup>

وقد كان الحج من المناسك التي أخذت النصيب الأكبر من حديث وشاحي الأندلس الذين عبروا عن رغبتهم في الوصول إلى الأماكن المقدسة، وإقامة الشعائر عندها للحصول على الأجر وتكفير الذنوب، ومن هؤلاء التطيلي الذي تأقت نفسه للكعبة والحج عندها، وأداء مناسك العمرة، فيقول<sup>(٢)</sup>:-

يا كعبة حجت إليها القلوب  
بين هوى داع وشوق مجيب  
دعوة أواه إليها منيب  
لبيك لا ألوي لقول الرقيب  
جد لي بحج عندها واعتماد  
ولا اعتذار  
قلبي هدى ودموعي جمار

لقد عبر الوشاح عن حبه للكعبة أصدق تعبير، فالقلب المحب حج إليها قبل الجسد العاجز، والهوى والشوق ملكا عليه نفسه، فلهج لسانه بالدعاء إلى الله كي يمنحه القدرة كي يصل إليها، ليقم فيها الشعائر المقدسة.

والملاحظ أن الوشاح أكثر في هذا البيت من ذكر المصطلحات التي تخص الحج منها "كعبة"، "لبيك"، "حج"، "اعتماد"، "هدي"، "جمار" مما يشي بمدى كلف الوشاح وولاه بتلك الأماكن واهتمامه بكيفية أداء المناسك فيها.

وقد عبر وشاح آخر مجهول عن حبه للأماكن المقدسة وهيامه بها وينفي أي حب آخر يخالف هذا الحب فيقول<sup>(٣)</sup>:-

لم يهف قلبي لحب ليلي ولا سعد ولا الرباب

(١) انظر، خلق المسلم: محمد الغزالي ص ٩ .

(٢) السابق: ج ص ٦٦٨ .

(٣) السابق: ج ص ٦٦٨ .

لاقي شجوناً ونالَ ونبلاً      من هام في ذلك الجناب  
بل مال منى الفؤاد ميلاً      لمن له الحب لا يعاب  
قلبي والله مستطار      مذ حل في بيته الحرام  
ذي الحجر والركن خير ركن      وزمزم الخير والمقام

يا له من سمو روح وصفاء نفس وصل إليه الوشاح، فلم يعد في قلبه متسع لأي حب يخالف حبه للأماكن المقدسة، حيث التجليات الروحية والطواف بالبيت والصلاة والمناجاة والشرب من ماء زمزم، وقد بدأ الوشاح هذا البيت بنفي حبه لليلى أو سعاد أو رباب فهؤلاء أصبحن رموزاً للحب العذري، والحب الصريح، والوشاح بنفيه لهذا الحب؛ إنما يريد أن يستبعد من نفسه أي حب يربطه بالدنيا وينأى به عن جناب الله الكريم، وقد أكثر الوشاح من الامتدادات الصوتية، وخاصة مد الألف حيث استطاع من خلاله أن يمد أنفاسه الخارجة من أعماق قلبه الهائم المستطار بحب البيت الحرام، وهو الشعور الذي يحس به كل حاج أول ما تطأ قدماه أرض البيت الحرام.

### الجهاد والتضحية بالنفس

هي قيمة سامية بل من أسمى القيم الإسلامية حيث بذل النفس في سبيل الله لحماية الأوطان والأعراض، وقد برزت هذه القيمة بأروع صورها في موشحة ابن حزمون التي يرثي فيها أبا الحملات ذلك المجاهد العظيم الذي بكاه الجميع وشكل فقده مصاباً جلاً عمّ الأمة بأكملها، وقد عبر عن ذلك الوشاح قائلاً<sup>(١)</sup>:-

يا عين بكى السراج      الأزهر      النيرا      \*      اللامع  
وكان نغم الرتاج      فكسرا      كي تثرأ      \*      مدامع  
من آل سعد أغر      مثل الشهاب المنقذ  
بكى جميع البشر      عليه لما أن فقد

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: م ٢ ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧

والمشرفي الذَّكر والسْمَهري المطرود

شق الصفوف وكثر على العدو متبذ

لو أنه منعاج على الورى \* من الثرى \* أو راجع

عادت لنا الأفراح بلا افترا \* ولا امترا \* تضاجع

نضنا لباس الزرد وخاض موج الفيلق

ولم يرعه عدد ذاك الخميس الأزرق

والحور ثلثم خدد أديمه الممزق

وكان ذاك الأسدد في كل خيل يلتقي

إذا رأى الأعلاج وكبرا \* ثم انبرى \* يما صغ

رأيتهم كالدجاج منفرا \* وسط العرا \* الواسع

\* \* \*

جالت بتلك الفجوج تحت العجاج الأكر

خيولهم فبي بروج من الحديد الأخضر

يا قفل تلك الفروج وليته لم يكسر

جعلت أرض العلوج مجرى الجياد الضمور

سلكت منها فجاج فلا ترى \* إلا القرى \* بلاقع

والخيل تحت العجاج لها انبرى \* وللبرى \* قعاقع

عهدي بتلك الجهات أبى الهوى أن أحصيه

يا حادي الركب هات حدث لنا بمرسية

أودى أبو الحمالات يا ويحها بنسبية

في طاعة الله مات حاشا له أن يعصيه

مضى بنفس تهاج مصبرا \* مضطبرا \* وطائف

وباعها في الهياج لقد درى \* ماذا اشترى \* ذا البائع

ماء المدامع صاب عليك أولى أن يجود

سقى البرية صاباً رزء أحلك اللحود  
فكل خلق أصاباً إلا النصارى واليهود  
ناديت قلباً مصاباً يُجري على الميت العهود  
يا قلبي المهتاج تصبرا \* زان الثرى \* مدافع  
ابن أبي الحجاج فهل ترى \* لما جرى \* مدافع  
لقد أبلى الوشاح بلاءً حسناً في الإحاطة بأوصاف ذلك البطل الأسطورة  
الذي حاز إلى جانب شجاعته كل مكارم الأخلاق، فكان فقده بحق مصيبة  
يستحق من خلالها أن يخلد اسمه بموشحة ترسم صورة متكاملة لشخصيته  
وأخلاقه وبطولاته وجهاده، إلا أن الصورة التي طغت في هذه الموشحة،  
صورة القائد البطل المجاهد الذي كان يخوض عباب المعارك مدافعاً عن شرف  
الأمة والوطن، يضرب بسيفه رؤوس الكفار والمشركين مقدماً غير مدبر طائعاً  
لله عز وجل ، لذا فإن فقد مثل هذا القائد هو بمثابة فقد للأمة بأكملها، والحزن  
يشمل الجميع.

إن من يقرأ هذه الموشحة يعيش أحداث المعارك التي خاضها القائد  
المثال، فالموشحة في معظمها كانت وصفاً يلتهب بالحركة وينبض بالحياة على  
عكس المضمون الذي كتبت من أجله، فالموت يستلزم الهدوء والسكون إلا أن  
الوشاح أراد لهذا البطل أن تبقى صورته المحاربة المجاهدة حاضرة في الأذهان  
أماً منه في أن يكون مثلاً وقدوة تحتذى<sup>(١)</sup>، وقد برزت هذه الحركة من خلال  
الأفعال التي انتشرت على طول الموشحة وعرضها والتي غلبت فيها أفعال  
الماضي وكأن الوشاح يريد أن يعطي لأفعال هذا المجاهد العظيم صفة  
التاريخية.

(١) انظر ، التحليل البنائي للموشحة ودراسات أندلسية أخرى، عبد الهادي زاهر ط ٣  
(القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٩) ص ٤٢ .

كما برزت الأفعال المضارعة إلى جانب الأفعال الماضية وإن كانت بدرجة أقل، ليصل الماضي بالحاضر ويشد من عزم الأحياء على مواصلة الطريق، كما أن الفعل المضارع يشي بحضور هذا المناضل العظيم في ضمير الأمة ووجدانها، فالمستقبل "لا يولد من لا شيء فإن بناءه يضطرنا إلى أن نسائل الماضي لا لكي نستمد منه دروسا وعبرا، بل لكي نستشعر فيه استمراريته، وهي استمرارية عضوية، ونابضة بالحياة أحيانا، وقد تكون متصلبة ومتكررة أحيانا أخرى"<sup>(١)</sup>.

وقد ركز الوشاح في غير موضع على العاطفة الدينية، فنجد أنه أكد على المعنى الديني للجهاد الذي هو نروة سنام الإسلام من خلال استلهامه لمعاني القرآن الكريم في الثقل الرابع حيث قال: وباعها في الشهاج لقد درى ماذا اشترى ذا البائع استلهمه من قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"<sup>(٢)</sup>، كما ظهر المعنى الديني في الكثير من الألفاظ والعبارات منها "الحر، كبر، في طاعة الله مات، حاشا له أن يعصيه، مصبرا، مصطبرا، طائع" ثم ظهرت من خلال إبرازه للحن الذي عم البرية كلها إلا النصرى واليهود، فهو من ناحية يظهر أن موته كان خسارة للإسلام والمسلمين وهو ما يؤكد رمزية هذا القائد، ومن ناحية أخرى يبين أنه كان شوكة في حلق النصرى واليهود الذين أراحهم موته، وبالتالي لم يشملهم الحزن عليه.

هكذا نجد أن الموشحات الأندلسية رغم خوضها في مضامين منافية للأخلاق، كوصف مجالس الأس، وما يدور فيها من شرب للخمر، وتغزل صريح؛ لتواكب المزاج الشعبي العام؛ ولتلبى أنواق المغنين - إلا أن القيم الأخلاقية السامية لها نصيب لا بأس به في هذه الموشحات من خلال العزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة، ومن خلال التوبة، والحلم والصفح،

---

(١) فلسطين أرض الرسالات الإلهية: رجاء جارودي؛ ترجمة عبد الصبور شاهين (دار

التراث، القاهرة، ١٩٨٦) ص ٦٠٩ .

(٢) سورة التوبة: آية ١١١ .

والتسليم بالقضاء والقدر، والعظة والاعتبار، والشجاعة والكرم، والجهاد والتضحية، وغيرها من القيم الأخلاقية .

### المصادر والمراجع

١-الأدب العربي في الأندلس: عبد العزيز عتيق (القاهرة، دار الآفاق العربية، د.ت).

٢-أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري: " أحمد بن محمد التلمساني" تحقيق الأبياري وآخرون ج ٢ (القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩).

٣-الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ط٤ (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١)

٤-أصول التربية الإسلامية - وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع : عبد الرحمن النحلاوي، ط١ (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٩).

٥-البنية الدرامية في القصيدة الحديثة: علي جعفر العلاق (فصول ، ١٤-٢، م٢، ١٩٨٦).

٦-التحليل البنائي للموشحة ، دراسات أندلسية أخرى : عبد الهادي ناصر، ط٣ (القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٩).

٧-التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر: عبد الخالق محمد العف ط١ (غزة، مطبوعات وزارة الثقافة، ٢٠٠٠).

٨-تهذيب الأخلاق، المسمى تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف: لابن مسكويه " أبي علي أحمد بن محمد" (القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح ، ١٩٥٩).

٩-جامع الأحاديث القدسية : أبو عبد الرحمن عصام الدين الطباطبائي (القاهرة، دار الريان، ١٩٩١)

١٠-الحداثة في الشعر العربي المعاصر: محمد حمود (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٦).

١١-خلق المسلم: محمد الغزالي ، ط٢ (دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٠).

- ١٢- الدراية في تخريج أحاديث الهداية : أحمد بن علي أبو الفضل ، تحقيق : السيد عبد الله المدني (بيروت ، دار المعرفة ، د.ت).
- ١٣- ديوان ابن زيدون : تحقيق حنا الفاخوري ط ١ (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٠).
- ١٤- ديوان جرير (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩١).
- ١٥- ديوان الموشحات الأندلسية ، تحقيق : سيد غازي (الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٩).
- ١٦- ديوان الموشحات الأندلسية (مسترك) يتضمن نصوصا لأول مرة ، محمد زكريا عناني ط ٢ (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦).
- ١٧- سنن أبي دواود " سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد (دار إحياء السنة النبوية ، دق ، د.ت).
- ١٨- سنن الترمذي : " أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي " تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض ، ط ١ (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت).
- ١٩- صحيح البخاري : " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري " مراجعة وضبط وفهرسة " الشيخ محمد علي القطب ، والشيخ هشام البخاري ، ط ٢ (بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٧).
- ٢٠- صحيح مسلم : " أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت).
- ٢١- العقيدة وأثرها في بناء الجيل : عبد الله عزام ، ط ٣ (عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨٠).
- ٢٢- علم المعاني : عبد العزيز عتيق (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥).
- ٢٣- الفكر الأخلاقي العربي - الفلاسفة الأخلاقيون : ماجد فخري (بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩).



- ٢٤- فلسطين أرض الرسالات الإلهية : رجاء جارودي ، ترجمة عبد الصبور شاهين (القاهرة، دار التراث ، ١٩٨٦).
- ٢٥- في العقيدة الإسلامية والأخلاق : محمد عبد الستار نصار وآخرون، ط١ (القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨١).
- ٢٦- قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ط٧ (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٣).
- ٢٧- القول الشعري : رجاء عيد (مصر ، دار المعارف، ١٩٩٠).
- ٢٨- مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٧ (القاهرة ، دار الصابوني ، د.ت).
- ٢٩- المستترك على الصحيحين : الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠).
- ٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل : ترقيم: محمد عبد السلام ، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).
- ٣١- مسند البزار : أبو بكر أحمد البزار ، تحقيق : محفوظ عبد الرحمن زين الله، ط١ (بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٩هـ) ج٤، ص٢٦٦.

\* \* \*